سادساً : منهج الإسلام في تربية الأولاد في البيت

إن حقوق الأولاد هي واجبات الآباء والأمهات ، وقد وضع الشرع لها منهجاً في تربية الأولاد ، من عدة عناصر ، أهمها :

١ـ حسن اختيار الزوجة :

يقول علماء التربية : يجب على الوالد أن يبدأ بتربية ولده قبل الولادة ، وهذا ما أرشد إليه الإسلام عن طريق اختيار الزوجة ، لأن خطيبة اليوم التي يقصدها الشاب هي زوجة الغد ، وأم المستقبل ، ومربية الأطفال والأجيال ، والأمُّ هي المدرسة الأولى التي تحتضن الطفل ، لترضعه لبان الأدب والتربية ، مع لبن الثدي والغذاء ، ثم ترعاه في أول مراحل العمر ، لتغرس في عقله وقلبه البذور الأولى التي ستنمو عند الكبر ، وتصون فطرته عما يفسدها ، مع ما تهب لوليدها من صفات موروثة ، وطباع مفطورة ، ومواهب متأصِّلة ، فكان حُسن اختيار الزوجة من أجل الأولاد أكثر أهمية من بقية العوامل التي تطلب المرأة لأجلها ، وهو ما أرشد إليه رسول الله ﷺ : « **تخيَّروا لنطفكم** »[١] ، وقوله : « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** »[٢] ، ويقول الشاعر حافظ إبراهيم :

---

(١) رواه ابن ماجه ، والحاكم ، ويحسن التنبيه إلى حديث ضعيف وهو : « إياكم وخضراء الدمن » ، قلنا : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في منبت السوء » رواه الدارقطني ، وقال : لم يصح من وجه ، والغالب أنه موضوع وإن كان معناه حسناً ومقبولاً (الفتح الكبير : ٢/ ٣٦ ، كشف الخفايا : ١/ ٣٢٠) .

(٢) هذا جزء من حديث صحيح رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن=

الأمُّ مـــدرســـةٌ إذا أعـــددْتَهَـــا أعـــددتَ شعبـــاً طيِّـــبَ الأَعْـــراقِ

فالأم هي المربِّية للأطفال ، والحاضنة للأولاد ، والأمينة على الذرية ، والمكلفة بالإشراف عليهم ، لأنها سترضع الطفل اللبن ، كما سترضعه العقيدة والأخلاق والقيم ، وهي ستربّي أولادها ليكونوا العباقرة والمصلحين الذين يتولّون دفة الحكم ، وسفينة الإصلاح ، وقيادة الجيوش ، ورجال الدعوة والفكر . وبمقدار التوفيق في حسن اختيار الزوجة يكون الوالد قد أرسى حجر الأساس من الأحكام الخاصة بالحامل والمرضع ، لرعاية الجنين والطفل الرضيع ، فأباح للحامل والمرضع ـ مثلاً ـ الإفطار في رمضان ، وجعل الرضاعة حقاً للطفل ، لما يمتاز به لبن الأم من فوائد جسمية ونفسية للطفل ، وأن الرضاع واجب على الأم قضاء وديانة ، وتجبر الأم عليه عند الحاجة ، كما شرع الله الحضانة حقاً للأم والطفل معاً .

وإن أول جهد في التربية ، وأول دعامة لها ، هو التوجُّه إلى البيت ، وخاصة إلى الزوجة الصالحة ، والأم المربية والمرأة المؤمنة الواعية ، وقد كان دوماً وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة ، أو أب عظيم ، أو أبوان عظيمان[١] .

٢ـ رعاية الوليد :

متى تمت الولادة بدأت التربية منذ اللحظة الأولى من حياة الوليد ، ، هذا ما أرشد إليه الدين الحنيف ، وتفرّد به على سائر المناهج التربوية في

= ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً (فيض القدير : ٣/ ٣٧١ ، الترغيب والترهيب : ٣/ ٤٥ ، صحيح البخاري : ٥/ ١٩٥٨ ، صحيح مسلم : ١٠/ ٥٠) .

(١) انظر كتاب : تحفة المودو بأحكام المولود ، لشمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥٢هـ) ، وله طبعات كثيرة .

العالم ، وكلّف الوالدين بإرساء الدعائم التربوية ، التي سيتم عليها بناء المستقبل ، وهي آداب إسلامية وسنن نبوية ، ومنهج رباني . **وأهم هذه الآداب ثلاثة :**

الأدب الأول : الأذان والإقامة :

وذلك في أذني الوليد ، ليكون أول شيء يسمعه في هذا الوجود وهو توحيد الله تعالى ، الذي خلقه ، وأوجده من نطفة فعلقة فمضغة في ظلمات ثلاث ، ليحقق الخلافة في الأرض ، ويبدأ بتنفيذ العهد الذي أخذه الله تعالى من بني آدم من ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

والأذان والإقامة يربطان الحياة ـ في الأفراح والأتراح ـ بالعقيدة والدين ، ليبقى الأهل أيضاً في لحظات السعادة على صلة بالله تعالى وتذكُّر له ، ويقولوا : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

الأدب الثاني : حسن اختيار الاسم :

وهذا من مسؤولية الوالدين ، لما ورد في الأحاديث الشريفة الكثيرة ، قال رسول الله ﷺ : « **حق الولد على الوالد : أن يُحسن اسمه ، ويعلِّمه الكتابة ، ويزوجه إذا بلغ** »[١] .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ، والديلمي في مسند الفردوس (فيض القدير : ٣/ ٣٩٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قالوا : يا رسول الله! قد علمنا ما حقّ الوالد ، فما حقُّ الولد ؟ قال : « **أن يُحسن اسمه ، ويُحسن أدبه** »[١] .

وكان رسول الله ﷺ يُغير الأسماء القبيحة التي كانت في الجاهلية إلى أسماء حسنة ، وإن اختيار الاسم الحسن علامة بارزة في التربية غير مباشرة ؛ لأنَّ كلَّ شخص له من اسمه نصيب ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، بالإضافة إلى الأمور النفسية التي بيّنها علماء التربية عند المناداة باسم حسن أو قبيح ، وأثر ذلك على نفسية الطفل ، وعلاقته مع زملائه وأفراد مجتمعه .

الأدب الثالث : تكريم الطفل بالعقيقة :

لإعلان السعادة والفرح والبشر بمقدم الطفل ، وتكون العقيقة بذبح شاة أو أكثر عن المولود يوم أسبوعه ؛ لإطعام الأهل والأقارب والجيران بهذه المناسبة السعيدة ، وتقديم الشكر لله تعالى على فضله ونعمه ، وقال جمهور العلماء : العقيقة سُنة .

٣ـ رعاية الطفل من الصغر :

وذلك في مأكله ومشربه وجسده وثيابه ليكون صحيح العقل ، سويّ الجسم ، سليم الحواس ، فإنَّ حياة الإنسان كلٌّ لا يتجزأ ، وإن حياته الجسمية في الصغر مؤشر إلى حالته في الكبر ، وإن العقل السليم في الجسم السليم ، والإسلام يريد منا أن نربي أولادنا على القوة والنشاط ؛ يقول رسول الله ﷺ : « **المؤمن القويّ خيرٌ وأحب إلى الله**

---

(١) رواه البيهقي عن ابن عباس (فيض القدير : ٣/ ٣٩٤) .

من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ »[١] .

وهذه القوة تتجلّى بالمعنى المادي ، كما تتجلَّى بالمعنى الروحي أيضاً ، بأن يكون الطعام طاهراً ومُبرأً من كل حرام ، فلا يطعم الأولاد إلا من حلال ، ولا تتغذى الحامل المرضع والأم الحاضنة إلا من حلال ، لأن اللبن ، أو الغذاء الحاصل من حرام لا بركة فيه ، وكيف يقدم الوالد إلى أولاده الغذاء الحرام ، ثم يسعى إلى أن يكونوا على منهج الله ، وصراط رب العالمين ؟! فإن الفاسد لا يؤدي إلا إلى فساد ، والحرام لا ينتج إلا سوءاً وضرراً ، كما إن الحرام لا يكون وسيلة إلى المقاصد النبيلة ، والغاية لا تبرر الواسطة ، وكل لحم نبت من السحت فالنار أولى به .

يقول رسول الله ﷺ : « **إن الله طيِّبٌ ، لا يقبل إلا طيِّباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، **وقال تعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمدُّ يديه إلى السماء : يا رب! يا رب! ومطعمُه حرام ، ومشربُه حرام ، وملبسُه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟! »**[٢] .

ويظن كثير من الآباء أن واجبهم تجاه الأولاد مقصور على تقديم القوت والغذاء والكساء ، وأن يؤمّنوا لهم العيش الرغيد ، والحياة المادية المُرفهة ، فيقضي الأب الأيام والسنين منهمكاً في الكسب ،

---

(١) رواه مسلم ، وابن ماجه ، وأحمد عن أبي هريرة مرفوعاً (الفتح الكبير ٣/ ٢٥٠ ، صحيح مسلم : ١٦/ ٢١٥) .

(٢) رواه مسلم ، والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً (جامع العلوم والحكم ، ص٨٥ ، صحيح مسلم : ٧/ ١٠٠) .

ويضرب في الأرض للتجارة والعمل ، ويسعى ذات اليمين وذات الشمال ، ويغيب عن بيته زمناً طويلاً ، ويترك أولاده ويغفل عن تربيتهم ويظن أنهم صغار يكفيهم الطعام والشراب واللباس فتكون النتيجة الضياع والحسرة .

وعلى العكس من ذلك تماماً فقد عمد الناس قديماً إلى وأد البنات هرباً من رزقهم ، وبخلاً على معيشتهم ، وخشية من الفقر وضيق ذات اليد ، ويعمد الناس اليوم إلى ما يسمى بمنع النسل خشية الإملاق والإنفاق ، والخوف من قلة الرزق ، والخوف من الفقر ؛ لذلك ردَّ القرآن الكريم على هذين الصنفين مبيناً أن الله هو الخالق وهو الرازق ، وأنه يرزق الأولاد كما يرزق الآباء والأمهات[1] ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

كما أعلن القرآن الكريم المبدأ العام في الرزق ، فقال تعالى :

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢ـ٢٣] .

وربط القرآن الكريم بين الرزق والكسب ووجوب التربية . وإن انصراف الوالدين بعض الوقت إلى تربية الأولاد لا يؤثِّر على مورد رزقهم ، ولا يبطل ؛ فقال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه : ١٣٢] .

---

(١) روى الشافعي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سألت النبي ﷺ : أيُّ الكبائر أكبر ؟ فقال : « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك** » ، قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك** » . (الأم : ٦/ ٣) .

٤ـ البدء بالتربية والتوجيه من الصغر :

بأن يضع الوالدان الخطة الحكيمة والمنهاج السديد لتربية الأولاد ؛ وذلك بأن يبذل الأب من ماله ووقته على تربية أولاده ، كما ينفق من ماله وراحته على تأمين مأكله ومشربه وملبسه ، فيعلِّمه الأدب الحسن ، ويلقِّنه الخلق الإسلامي الفاضل ، ويدرِّبه على السلوك القويم .

والوسيلة التربوية لذلك أن يغرس الآباء والأمَّهات في نفوس أولادهم القيم الدينية والعادات الإسلامية الصحيحة ، وأن يؤدِّبوهم بآداب الإسلام ، وأن يعلِّموهم أحكام الشريعة ، وأن يرددوا على مسامعهم محبة الله ورسوله ، وأن يذكِّروهم باستمرار بفضل الله ورحمته ورعايته وتصرُّفه في الكون ، وأن يميزوا لهم بين الحلال والحرام ، وأن يلقنوهم بعض الأمور العامة ؛ مثل : ولادة الرسول زماناً ومكاناً ، واسم أبيه وأمه وجده وعمه ومرضعته وحاضنته ، وأن يصحبهم الأب إلى المسجد ، ويأخذ بيدهم إلى أماكن العبادة والحفلات الدينية ، وأن يرشدهم إلى الخير وحفظ القرآن ، وأن يحفِّظهم قسطاً من السنة والسيرة ، وأخبار الصحابة والخلفاء ؛ ممَّا يحرص عليه الآباء في تربية الأبناء والبنات ؛ ليسيروا على صراط الله المستقيم ، فيكون الأولاد ذرية صالحة في الدنيا ، ويكونوا أجراً وثواباً في صحيفة الوالدين للآخرة ، ويمتد بهم العمل الصالح بعد الوفاة ، ويتحقَّق فيهم الحديث الشريف : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له** »[1] .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ص٢٧ ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي (الفتح الكبير : ١/ ١٥٥ ، نزهة المتقين : ١/ ١٧٣ ، صحيح مسلم : ١١/ ٨٥).

كما يجب على الوالدين أن يعاملا أولادهما بالعطف والرفق واللين ، والحزم والشدة عند اللزوم ، ويتدرَّج الأب معهم كلَّما تقدم بهم السن ، ثم يغيِّر من طريقته في التعامل حسب العمر ، وأن يدخل إلى نفوسهم بالمكاشفة عن أحوالهم الخاصة ومتطلباتهم النفسية والجسدية والفكرية ، وخاصة عند ظهور علامات البلوغ ، وأن يكون حكيماً لإقامة التوازن الكامل لهم بين النواحي المختلفة ، فلا يفرط بالطفل أو الشاب في جانب دون غيره ، وورد في الأثر : « **لاعب ابنك سبعاً ، وأدِّبه سبعاً ، وصاحبه سبعاً ، ثم اترك الحبل على غاربه** » ، وكذلك الأم في علاقتها مع البنت ، وخاصة عند النضج والبلوغ .

وهذه التربية تتوقف على الأصول التربوية التي يجب على الوالدين رعايتها ؛ وتبدأ بالمحبة والصداقة والصراحة والفهم لأحوال الأولاد لمعالجتها بحكمة ، ثم بيان التوجيه السديد والطريق السليم لهم .

أما اللجوء إلى القسوة والتهديد الذي يتسرَّب إلى نفوس كثير من الآباء ؛ فيصدرون الأوامر كأنهم في معركة حربية في البيت ؛ فإنه يبوء بالفشل ، ويفقد الأهل سلطان الإرشاد والتوجيه ، والإقناع والوقار ، وقد يتظاهر الأولاد بالطاعة والهدوء ونفوسهم في غليان شديد ؛ ينتظرون الفرصة للعبث ، ثم التوجه إلى من يفضون إليه مشاعرهم ، ويجدون عنده الأذن الصاغية ليقودهم إلى الهاوية .

وتقول : يجب وضع الخطة الرشيدة في التربية ؛ لأنه لا يصلح شرعاً الاكتفاء بكلمات ونصائح شفوية وأوامر مجردة : « قم . . . صلِّ . . . اتق الله » فإن العدو الماكر قد خطط لهذه الأمة ، وتآمر على دينها ومقدساتها ، واتجه إلى اغتيال شبابها وفتياتها ، ولا يزال ينفِّذ مخططه بخبث لئيم ، وخطط ثابتة ، ودراسة مخططة ، ووسائل متعددة ،

وأساليب دنيئة ، ولا بد من مواجهة هذا التخريب بدقة وحنكة ودراية ، فالحديد لا يفلُّه إلا الحديد .

٥ـ التعريف بالحلال والحرام :

يجب تعريف الأولاد بالحلال والحرام في جميع التصرفات ، مع تنمية العقيدة ، وتعليم العبادات والأخلاق ، والمحبة لرسول الله ﷺ ، والاقتداء بمواقفه فتىً وشاباً وقائداً ، وزوجاً وأباً ، وداعياً ومعلماً ، وصديقاً وجاراً ، وسياسياً مع الاعتزاز بتاريخ الصحابة والسلف عامة .

ويتمُّ ذلك بالتعليم والتعليق على مواقف التاريخ ، وضرب الأمثلة الحية والقصص الإسلامية ، والقراءة الواعية والتزود بالثقافة مع التطبيق العملي ؛ ليقوم في نفس الطفل صورة كاملة وصحيحة عن الإسلام .

والشائع اليوم أن الآباء يهملون أولادهم في هذه المرحلة ؛ متوهِّمين أنهم صغار ، وأن التعاليم الإسلامية غير مطلوبة منهم ؛ كالصلاة والحجاب وغيرهما ، ثم ينحرف الشابُّ ، وتخرج الفتاة عن حياء الإسلام ، ثم يصرخ الآباء والأمُّهات ويستغيثون بعد فوات الأوان .

وقد يحاول الآباء والأمهات استخدام حقهم في التربية المتأخِّرة ، فيكون الفشل حليفهم ، ويستعين الزوج بزوجه أو أقاربه أو أصدقائه أو المعلم أو المدير فلا ينفع الدواء بعد أن استحكم الداء والفساد ، ولذا قيل : « من أدَّب ولده صغيراً ؛ سُرَّ به كبيراً » . وجاء في الأثر : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » .

وقال رسول الله ﷺ : **« من عال جاريتين حتى يدركا ؛ دخلت أنا وهو الجنة »**[1] .

---

(١) هذا الحديث صحيح : رواه مسلم ، والترمذي ، وأحمد عن أنس مرفوعاً (صحيح -

وفي حديث آخر : « **ومن عال ثلاث بنات فأدَّبهن وزوَّجهن وأحسن إليهن ؛ فله الجنة** »[١] .

٦ـ ممارسة العبادات :

وهي فرع من التعريف بالحلال والواجب مع التعويد على ارتياد المساجد ، وأداء الصلاة في البيت والمدرسة ، والتدريب على الصيام والصدقة ، والإحسان إلى الجار والفقير ، ومعاونة العاجز ، واحترام الكبار والمسنين ؛ يقول رسول الله ﷺ : « **مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع** »[٢] .

قال العلماء : وهكذا في الصوم وغيره ، حتى يتمرَّنوا ، ولكي يبلغوا وهم مستمرون على العبادة والطاعة ، ومجانبة المعصية وترك المنكر[٣] ، فالتعليم في الصغر كالنقش في الحجر ، ومن شبَّ على شيء شاب عليه .

والحكمة من النص على الصلاة : أنها عماد الدين ، ويقاس عليها غيرها .

والوسيلة التربوية باصطحاب الأولاد إلى المسجد ، ومشاركتهم في تنفيذ الأحكام الشرعية في البيت والعمل ، وأن يكلفهم بها ، ويحبِّب لهم الطاعات ويرغبهم بأجرها ، ويحذرهم من المحرمات ، وأن يجالسهم في أوقات متعدد دون الاكتفاء بإصدار الأوامر ، وأن يستمرَّ بالتذكير اليومي ؛

= مسلم : ١٦/ ١٨١ ، فيض القدير : ٦/ ١٧٧ ، مسند أحمد : ٣/ ١٤٨) .

(١) هذا الحديث رواه أبو داود عن أنس مرفوعاً (فيض القدير : ٦/ ١٧٨) .

(٢) رواه أبو داود (١/ ١١٥) ، والترمذي ، وأحمد (٢/ ١٨٠ ، ١٨٧) ، والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً (الفتح الكبير : ٣/ ١٣٥) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١) .

لقوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه : ١٣٢] .

٧ـ إقامة الصِّلات الاجتماعية القوية[١] :

بأن يوجِّه الوالدان الولد لاختيار الصديق الصالح والزميل المؤمن ، وإلا اختار غيرهما ، والصديق يؤثِّر على صديقه في الإصلاح والإفساد ، والصاحب ساحب ، والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .

وهذه المرحلة أساسية بعد العاشرة ؛ خاصة لأن الولد يبدأ الخروج من البيت والاختلاط بالناس ، ولكن يجب أن يكون دور الأب غير مباشر في اختيار الأصدقاء ، والإبعاد عن قرناء السوء ، والوسيلة التربوية لذلك : أن يصطحب الوالدان أولادهما في زيارة الأصدقاء الصالحين ؛ ليقيم الأولاد مع بعضهم جسور الصداقة والتعاون والمحبة ، وتبادل الكتب والأفكار ، فإن تمَّت العلاقة بين الأولاد توارى الآباء عن المسرح ، ويفعل الأب مثل ذلك مع الجيران الصالحين والأقارب الملتزمين بالإسلام ، ثم يتابع الأب ذلك بالإرشاد إلى الأندية الرياضية الملتزمة ، وحضور الدروس المفيدة ، والبرامج الإسلامية ، والندوات الفكرية ، واقتناء المجلات الهادفة والقصص البناءة .

وفي المقابل يقطع الأب كل آصرة لا ترضي الله ؛ عن طريق الإقناع والتوعية ، والمناقشة والحوار ، وليس بالقسوة والإجبار ، أو الصراخ أو التهديد .

---

(١) الإنسان مدني بطبعه ، والإسلام يتمثل بالتطبيق والواقع والحياة ، ويكره العزلة ، ويدعو للمخالطة حتى مع الصبر على الأذى .

يقول الرسول ﷺ : « **مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير** »[١] .

ونحذِّر مما يفعله البعض من اصطحاب أولادهم إلى أماكن اللهو والفجور ، والسهرات المشبوهة ، والأماكن الموبوءة ، والمدارس التبشيرية ، والأندية الماجنة ؛ فإنه حرامٌ قطعاً ، ويتحمَّل الآباء مسؤولياتهم الجسيمة أمام الله ؛ إذ يقدِّمون أولادهم هدية سائغة للشيطان والرذيلة والفساد .

٨ـ تحفيظ القرآن الكريم[٢] :

ويبدأ من الصغر ؛ لأنه يقوِّم السلوك والخلق ، ويحفظ اللسان ، ويثبت العقيدة ويضمن المستقبل للشاب لقوله ﷺ : « **أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبِّ نبيكم ، وحبِّ أهل بيته ، وقراءة القرآن ؛ فإن حملة القرآن في ظلِّ الله يوم القيامة، يوم لا ظلَّ إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه** »[٣]

وقال أيضاً : « **خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه** »[٤] . والأحاديث في هذا كثيرة .

ويتوقف النجاح في ذلك على توجيه الآباء ، واختيار الموجِّه ، وانتقاء المربي ، وهو ما بالغ به السلف الصالح والخلفاء الأوائل بتخير المؤدبين والمربين والمعلمين الموثوق بدينهم وسلوكهم ، فيعهدون إليهم بتربية

---

(١) رواه البخاري عن أبي موسى مرفوعاً . فيض القدير (٥/ ٥٠٧) ، صحيح البخاري (٢/ ٧٤١) .

(٢) وشيء من السنة والسيرة .

(٣) حديث ضعيف ، رواه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في فوائده ، والديلمي ، وابن النجار عن علي (الفتح الكبير : ١/ ٥٩) .

(٤) حديث صحيح ، رواه البخاري وغيره عن عثمان رضي الله عنه مرفوعاً (فيض القدير : ٣/ ٤٩٩ ، نزهة المتقين : ١/ ٧٤١ ، صحيح البخاري : ٤/ ١٩١٩) .

الأولاد ، ويرسمون لهم الخطوط العريضة في التربية .

ويمكن الاعتماد في ذلك على مبدأ الثواب والعقاب ، أو الترغيب والترهيب ، وتلبية النوازع النفسية بالثناء العلني ، وحُبَّ الظهور ، والاستقلال الشخصي ، والتغاضي عن الهفوات .

ومن الخطأ الشائع : الاكتفاء بحفظ الآيات ، أو قراءة الكتب بشكل إجباري ؛ دون إدراك المضمون والهدف الذي يشوقهم للحفظ ، ويعلقهم بالكتاب الكريم وتطبيقه ، والاستفادة من معانيه وأحكامه .

٩ـ التسوية بين الأولاد

وذلك في الرعاية والمحبة والاهتمام والهدايا مادياً ومعنوياً ؛ حتى القبلات ؛ لما رواه الشعبي : أن رسول الله ﷺ قال : « **اعدلوا بين أولادكم في العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر** »[١] .

وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه : أن أباه أعطاه عطية ولم يعطِ بقية إخوته ، وأراد أن يشهد على تصرفه رسول الله ﷺ ، فسأله عليه الصلاة والسلام : « **هل أعطيتَ كلَّ أولادك مثل هذا ؟** » قال : لا فقال عليه الصلاة والسلام : « **فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » ، وفي رواية قال : « **لا تشهدني على جور ، وإن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم** »[٢] . وهو مبدأ تربوي يترك أثراً حسناً على الأولاد ، أما تفضيل أحد الأولاد فهذا من أمراض الجاهلية التي عادت أدراجها إلى

---

(١) رواه الطبراني عن النعمان بن بشير (فيض القدير : ١/ ٥٥٧) .

(٢) رواه الطبراني ، والبخاري ، ومسلم ، والإمام أحمد (فيض القدير : ١/ ١٢٦ ، صحيح البخاري : ٢/ ٩١٣ ، صحيح مسلم : ١١/ ٦٥ ، مسند أحمد : ٤/ ٢٦٩ ، ٢٧١) .

المسلمين ، لتمزّق الشمل ، وتقطع الأرحام ، وتخلق الحقد والبغضاء والعداوة بين أفراد الأسرة الواحدة .

١٠ـ القدوة الحسنة :

وهي أهم عناصر منهج الإسلام في تربية الأولاد ؛ ليكون الوالدان قدوة حسنة في التربية ؛ لأن التقليد وسيلة ناجحة عند الصغار خاصة ، ومع الوالدين بشكل أخصّ ، فالطفل يبدأ بتقليد والديه ومن يحيط به ، ويقلِّد من يحبُّ ، ويتقمص شخصية من يستحوذ على فكره ، ويظهر ذلك جلياً عند الأطفال في العبادة والأخلاق والسلوك . وفي هذا يقول الرسول الكريم ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه** »[١] .

وتتمثل القدوة الحسنة بالفكرة والسلوك معاً ، فإن تعذَّر على الأب جانب الفكر والمعرفة ؛ استعان بالأيدي الأمينة والمربي الواعي والموجه الحكيم ، كما يفعل في تعليم الصنعة والحرفة .

وإن جميع العناصر السابقة تبقى نظرية وحبراً على ورق إذا لم تتجسَّد بصورة واقعية في حياة الطفل ، مع التحذير من مخالفة الأقوال والأفعال ؛ فإن التربية تفقد مضمونها ، وقد تؤدي إلى عكس المراد منها .

١١ـ الاعتماد على الله تعالى :

وهو آخر العناصر ؛ بل أهم العناصر ، وذلك بالتوجُّه إلى الله والاستعانة به وسؤاله التوفيق في حفظ الذرية الطيبة ، وهذا هو منهج

---

(١) رواه مسلم ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والبيهقي ، وأحمد عن الأسود بن سريع ، وصححه السيوطي (صحيح مسلم ١٦/٢٠٧ ، الفتح الكبير : ٢/٣٢٩ ، سنن البيهقي : ٦/٢٠٢ ، ٢٠٣ ، مسند أحمد : ٢/٢٣٣) .

الأنبياء كما ذكره القرآن الكريم كثيراً . قال تعالى على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم : ٤٠] .

وقد قال تعالى على لسان إسماعيل : ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة : ١٢٨] .

وقال تعالى على لسان المؤمن : ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

ووصف القرآن الكريم عباد الرحمن بصفات منها : التوجه إلى الله بطلب الذرية الصالحة ، فقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

فإن التزم المسلم منهج الإسلام في تربية الأولاد ، ثم ساء الولد وفسد ؛ فتلك مشيئة الله وإرادته ، وهو نادر ، فعلينا العمل وعلى الله النتائج ، وهو ما حصل مع سيدنا نوح وابنه ، وهذا نادر وشاذ ، ولكي يبقى المنهج الأصلي هو المعتمد ، وهو ما سار عليه سلفنا ، وخلَّفوا الأجيال الطيبة ، وهو ما ردده الشاعر العربي :

وينشأُ ناشِئُ الفتيانِ فينا على ما كان عوَّده أبُوهُ

وهو المراد من المثل العربي : « يشيب المرء على ما شبَّ عليه » . ثم يأتي دور المجتمع والدولة والمدرسة في إكمال البناء ، ومتابعة التربية السديدة الرشيدة كما يحبه الله ويرضاه .

* * *